المقدمة

حظي خط حديد الحجاز بمكانة رفيعة وأهمية كبيرة بين كافة الخطوط الحديدية العالمية. وقد لفت هذا الخط منذ بداية إنشائه انتباه الدول الكبرى في ذلك الوقت، وجعلها تراقب كلَّ صغيرة وكبيرة تجري فيه؛ وقد أبدت بريطانيا -على سبيل المثال- اهتمامًا كبيرًا ومراقبة جادّة تجاه هذا الخط، وراحت تقوّمه من الناحية السياسية والإستراتيجية والاقتصادية، حيث تتبّعت كل مراحل إنشائه وراحت تعِدُّ التقارير والمعلومات الدقيقة -عن طريق القنصل البريطاني ومساعديه، والأشخاص المعيَّنين- حول إنشاء الخط وتقدِّر مكانته التي سيتمتَّع بها في المدى القريب أو البعيد، ثم ترسِل هذه التقارير إلى وزارة الخارجية في بريطانيا.

هذا وقد تم إعداد هذا الكتاب بأكمله، من الأرشيف والوثائق والتقارير الإنكليزية التي جُمعت في تلك الآونة. وإنْ كانت هذه الوثائق تسعى إلى إخفاء مَن قدَّم المعلومات الرئيسية للمسؤولين واستخدمت عبارة "الأشخاص المعيَّنين"، إلا أن هؤلاء الأشخاص كانوا معروفين، وهم الأجانب الذين يعملون في إنجاز المشروع. وقد كان "م. لويسو" (M. Loiso) من هؤلاء الذين قدّموا التقارير إلى البريطانيين؛ حيث كان هذا الرجل، ابن "ت هـ. لويسو" (Th. Loiso) الذي كان يعمل مساعدًا للقنصل البريطاني في "Merisna"، وكان في نفس الوقت مهندسًا يعمل في إنشاء خط حديد الحجاز. وأما المصدر الآخر لهذه التقارير فهو المهندس الألماني "هير فون كاب" (Herr Von Kapp)؛ حيث كان عضوًا من أعضاء الهيئة الاستشارية للإمبراطور الألماني، ومفتّشًا بارعًا في إنشاء خط حديد

لاوس - كاي في الصين، وقد عيّن من قِبل الهيئة العامة لخط حديد الحجاز كمفتّش في خط حيفا-دمشق، ثمَّ كمشرف على خط دمشق-عمَّان.

وقد تمت دراسة هذه التقارير التي قدمها الأشخاص الذين ذكرتْ أسماؤهم أو استُخرِجتْ من المصادر بشكل دقيقٍ، من قِبل الملاحق القنصلية أو المسؤولين كالسيد "ليود هونوراري" (Lioyd Honorary)، وقورنتْ بالمعلومات الموجودة لديهم للتأكد من صحتها.

وقد تم إرسال كل هذه التقارير حول سكة حديد الحجاز التي أعدتها القنصليات البريطانية وأعوانها أو أعدها المهندسون العاملون في خط حديد الحجاز، بتوقيع من السيد "ن. أوكونور" أو السيد "باركلي"، إلى السيد "إدوارد غراي" في لندن، الأمر الذي جعل كلَّ المعلومات والتقارير بشأن خط حديد الحجاز تُجمع في مكتبةِ مكتب الهند، والسجلات البريطانية في لندن.

وقد أدرجنا في هوامش أو ملاحقِ هذا الكتاب بيانًا بأسماء الذين قاموا بإعداد هذه التقارير أو قاموا بإرسالها إلى الجهات المعنيَّة، ضمن قائمة.

ولابد من التنويه هنا أن هذا الكتاب، تناول كافة هذه القارير كمراجع من الناحية التقنية والثقافية والاجتماعية فحسب دون الاهتمام بالجانب السياسي، أو بعبارة أخرى سعى هذا الكتاب من خلال هذه التقارير والمراجع، إلى إبداء وجهة نظر الحكومة البريطانية تجاه خط حديد الحجاز وعكس ميولها السياسي إلى حدٍّ كبير. ولابد أن نشير في هذا الصدد أيضًا إلى أن معلومات الوثائق الإنكليزية التي تخصُّ مبالغ التبرعات التي تم جمعها، وكميَّة النفقات التي تم صرفها على الخط الحجازي، تحتاج إلى تحقيق دقيقٍ وبحثٍ مفصَّل أكثر من ذلك، ولكن هذا العمل يتطلب جهدًا

كبيرًا في حقيقة الأمر؛ لذلك يُحتَمل أن توجد بين سطور هذه الدراسة، معلومات مُبالَغٌ فيها أو جُمَل ليس فيما بينها أية علاقة أو جمل تخلو من فائدة؛ وذلك بسبب اعتماد هذا الكتاب على وثائق مبعثرة المعلومات. فنقدِّم اعتذارنا الشديد إن كان هناك أي خلل من هذا القبيل.

ولقد تألَّفت هذه الدراسة من أربعة فصول؛ حيث تناول الفصل الأول: تاريخ مشروع خط حديد الحجاز، والفصل الثاني: مسار الخط الرئيسي، والفصل الثالث: نتائج الإنشاء لخط حديد الحجاز، والفصل الرابع والأخير تناول بشكل عام: الأقوال والتقويمات حول خط حديد الحجاز.

أ.د. متين هولاكو